البطائح الحالية

Les Batâih Actuels

ماضي البطائح الحالية

كانت قبل الاسلام ارضين تزرع متصلة بارض العرب ومن جيرانها بنو العنبر وباهلة وبشكر ومتصلة بميسان وكانت ذات مدائن وقرى معمورة في زمن الفرس اولا وفي العهد العربي اخيرا : فكانت (طهيثا) مدينة كبيرة في اول البطائح؛ وكانت (باذاورد) مدينة في اخرها وقد يتراءى للعابرين آثار بقايا عمارة في بطن البطائح وتحت الماء وذلك زمن ركود الماء وصفائه فيعلم أنها كانت عامرة في الزمن الغابر .

وقد كانت السفن الكبار التي تنفذ من دجلة البصرة تجتمع قريبا من مدينة (طهيثا) ويحمل مافيها بالزوارق كما هو جار في هذا العهد في البطائح اليوم واسمه عند النوتية (جواية)(١) فكانت الزوارق تسير في مآزق من القصب حتى تنتهي الى موضع ليس فيه قصب ويسمونه في القديم (الهول) . وكانوا يتخذون بين هذه المآزق مواضع من القصب وفي اشباه الدكاكين عليها خصاص وهو اكواخ يكتنون فيها من البق والهوام وهذه تسمى اليوم كبائش (وتلفظ جبايش بالجيم المثلثة الفارسية) .

وكانت البطائح في اول عهد الاسلام والعرب اجاما واحراجا فدخلها اباؤنا يقتلعون القصب ويزرعون في مكنه الارز الطيب واول من قلع القصب وغلب الماء بالسنيات واستغل تلك الارض هو عبدالله بن دراج (٢) مولى معاوية

وقف العربي ابن الغدير والرمال على البطائح وهي غور واسع ومنخفض رحب يستقع فيها الماء السيب فيصبب غمقا وبالقرمغايض وآجاما يكثر فيها القصب

(١) الجواية زورق صغير يمكنه الجري بين القصب حيث لايمكن ان يجري فيه الزورق الكبير ؛ وتلفظ جواية بالجيم الفارسية المثلثة وهي من تكوى (نواو مشددة) الرجل اذا دخل في موضع ضيق فتقبض فيه لان هذا النوع من الزوارق يتخذ للمرور في اضيق المواطن من الاجام فكانه قد بني متقبضا او لان الراكب فيه يتقبض . (ل . ع)

(٢) أنك تجد له ذكراً في كتب التاريخ التي بايدينا ولاسيما في مروج الذهب في ١ : ٢٢٥ — ٢٢٦ من طبعة الافرنج (ل . ع)

المشتبك بعضه ببعض وهناك الاحراج الملتفة يتخللها خروق عميقة مظلمة كلها صهاريج من قصب او اروقة اختبأ فيها الليث الدامس تسمعك نقيط البط ونقيق الضفادع وحفيف التيار وتشغلك فيه صفقة البق وحكة الجرجس ، ارض تز ودور تهتز وهواء كدر غليظ وماء سخن زعاق ، آجام تكمن فيها الاسود ، وغياض تمرح فيها الخنازير ومناقع تنسلب فيها الافعى لامبرك فيها ولا مسلك ماء وبني ومناخ خسيس يهوللثعلبه دوي الهوام وصرير الجندب تتوسطها تلول هادئة ساكنة لاتعبأ بطوارىء الزمن ولا تخضع لعواصف الرياح وما هي إلا صناديق عبر .

هذا هو تاريخ هذه البطائح التي تسلمها العربي فانهضها صـآصيء منيعة وـاب لها الاكرة والزارعين فلقد اصبحت دساكر وضياعا بل آطاما بعد ان كانت آجاما : غلت عقود اهلها مروج الذهب .

ولما استقرت الدولة الاسلامية في العراق اصبح صقعه قراحا مخلصا للزرع وكثرت فيه السواعد والخلجان وتفرعت فيه السواقي والرواضع فكان للبطائح الحظ الاوفر لهذا الامر الجلل : فتقدمت في الزهو والعمارة ودخل اليها العمال بالسفن واوغلوا في المواضع المنيعة فانتزعوا منها الادغال والقصب وانبتوا بمكانها الارز ولا يزال معمرو هذه البلاد يذكرون ما شاهدوا من بقايا منابت الارز وخطط ديارها المعروفة واثرها اليوم ظاهر في الحفائر والمنخفضات وكانت في ايان الدولة الامرية قد بلغت الشأو الاعلى وجرت الشوط الابعد : وبقيت البطائح كورة عامرة فسعد اهلها الى بعد الديالمة من الايوبيه فاهمل امرها قليلا فانفصدت عمائرها ووهى شأنها وتغلب عليها قوم اتخذوا المياه معاقل حصينة لهم فتجردوا في تلك الارض على السلطان وعلى هذا بقيت في عهد آل بويه وكذلك في عهد السلجوقيين .

ولما انتعش بنو العباس عادت الى حالها الحسن وكثرت فيها الجباية كما كانت في القديم وذكر حفيد الصابي في كتاب الوزراء عمران البطيحة بخراب بغداد قال في حوادث سنة ٣٩٢ لاجرم ان البلد (يعني به بغداد) خرب وانتقل اكثر اهله عنه فمنهم من مضى الى البطيحة ومنهم من اعتصم بباب الازج ومنهم من بعد الى عكبرآء والانبار وفي هذه السنة مضى ابو نصر بن سابور الوزير الى

البطيحة وذكر غير الصابي، ان البغادة تكاثروا في البطائح واكثروا فيها المباني والقصور ثم في اوائل القرن الثامن اخذت البطائح بالانتقاض واشتعلت بمشبوبات الفتن وابتدأت بتاريخ السقوط والانحطاط فتنازع امرها الثوار وعصاة القبائل ولعبت دورا مهما في زمن انفصال البصرة عن حكومة بغداد والتهمتها ثورة المشعشعين وشملتها امارة آل راشد في البصرة ولم تزل مشوشة مرتبكة الى القرن الثاني عشر فتقدمت الى التجدد لما حصل فيها من النشوف والجفاف فقام عمرانها الحاضر على ايدي امرائها من آل سعدون فتوسعوا فيها الجزائر بواسطة السدود والسكور وخطوا فيها مدينة سوق الشيوخ والناصرية والشطرة وبمساعدتهم اختط النجدي ابن خميس بلدة الخميسية .

حاضر البطائح

تقدم ان دجلة بعد ان انقطعت عن واسط استقامت جارية بينها وبين المذار مارة بكوت الامارة فانحسر الماء عن كثير من بقاعها وظهرت الارضون الجانة وعمرت ومصرت فاصبحت حواضر ومزارع فالقسم المهم من البطائح اليوم سهل منخفض يبتدىء من طلول واسط وينتهي الى ضفاف الفرات الاسفل تحت ناصرية المنتفق ولكن لا تزال ارض الغالب منها نديئة او نزة إلا ان آجامها الشهيرة اصبحت اثرا بعد عين فليس هي إلا كورة عامرة وتمصيرها هذا حديث العهد لا يتعدى قرنا واحدا .

وقد بقيت هذه البطائح حتى اليوم حريصة على عنوانها الاول فكثيرا ما تسمع من اهل تلك الانحاء لفظة هور ، وهويرة ، وبطيحة وهي مراتع ومزارع هذا شأن ما انكشف من البطائح اما البقية الباقية فهي على قديمها مغايض وآجام ولكن المأمول ان تتحسن الحال فتصبح حرثا ومباني لان الزراعة اذا تقدمت في العراق واستخدم الفلاح العراقي الفن والالات العصرية في حرث الارضين وسقيها لا تبقى اهوار فيه كما لا تبقى فيه جزيرة فيكون هذا الماء المتبطح ربما لتلك الجزائر التي منها : جزيرة الرفاعي : وجزيرة البغيلة : وجزيرة الكار : وجزيرة الابيض .

وقبل سنوات خط المصلح الكبير ولكوكس الانكليزي مشروعا زراعيا لو عمل به لما كان في العراق هور ولا جزيرة فلقد اشار باقامة اربعة سدود كبيرة

على الفرات ، لم يتم منها إلّا واحد وبقيت ثلاثة ؛ وقد نفع هـذا السد واحيا مواتا كثيرا .

وكان من خطته انشاء سد كبير على دجلة وخزان للفرات وخزان لدجلة وكري الانهار والترع القديمة الموجودة هناك على ان الفرات لكثرة ماحمل تدافع جريه الى الامام واخذ يخد له مجرى او مسيلا جديدا ثم اشتد خوره بتطاول الزمن حتى حفر له واديا في وسط البطائح واخذ الماء يغور فيه والارض تنكشف لان الماء يهبط في ذلك الخور والمارة اليوم تشاهد في وقت الجفاف سيفا او جرفا اخذ يبدو في بطائح الفرات وهذا غير (نهر الشافي) القديم فقد ظهرت اليوم ضفتاه ايضا كانه يريد ان ينعزل من البطائح بعد ان اندمج فيها زمانا طويلا وهاهو ذا تظاهر بطلب الاستقلال وبما ان البطائح كلها او جلها اصبحت غرسا ومزرعة يستنبت فيها الارز والنخل السحوق فلابد ان يكون هذا سببا لارتفاع المنخفضات كما حصل ذلك في اكثر بقاع الارض واهم المواضع التي بقيت حتى الان بطائح (برقا الحمار) حيث تجتمع هناك مياه دجلة والفرات من عدة منافذ وشعب فتصبح اهوارا متصلة بعضها ببعض حتى تبلغ مبدأ شط العرب اما منافذ الفرات وشعبه فانها تبتدىء من سوق الشيوخ الى ان يدفع الفرات في الحمار ولا يحفظ له عمودا بينا واليك اسماء تلك الانهار التي «تتشاطر الفرات من ثلاث جهات سوق الشيوخ » اما الرابعة من جهاته فمتصلة بالبادية بعدة انهار:

١ـ قرمة النواشي (١) ٢ـ ام الطبول ٣ـ العتيبة ٤ـ الطايحة ٥ـ الاصبيح ٦ـ الكرماشية ٧ـ ام نخلة وهي مجرى الفرات القديم ولكنه اندرس إلتشعب الانهار الكثيرة منه ولام نخلة جداول كثيرة احصي منها سبعة وهي المهمة :

١ـ الرحمانية ٢ـ الرميحية ٣ـ الزيادية ٤ـ النطور ٥ـ المريقاوية قريبة بني سعيد ٦ـ نهر المؤمنين ٧ـ ثم شكلات (بتشديد الكاف) المعلاوية .

هذه كل شعب الفرات الى الحمار اما دجلة فتصب فيه من جهات اهمها : العمود وهو نهر ميسان او نهر العمارة ومنها نهر الفراف وهذا يصب فيه من بز البدعة ؛ واليوم في الحمار ظهور كثيرة مغروسة ومأهولة واكثرها سدود ومحمولة و ـجبايش ـ فكان تلك البطيحة بحر ملؤه الجزائر . علي الشرقي

(١) يقال قرم النمر اذا كسره والنواشي اسم لقبيلة من قبائل تلك الانحاء . وكانت «سوق الشيوخ» تعرف بسوق النواشي ولما عمرها آل سعدون عرفت بسوق الشيوخ والمراد بالشيوخ هنا شيوخ آل سعدون . (الكاتب)